

بسم الله الرحمن الرحيم صنائع المعروف

23.09.11

معنى المعروف وأهمية هذه العبادة

1- المعروف المقصود هنا هو فعل الخير وإسداؤه للعباد، سواء كان هذا الخير مالاً كالصدقة والإطعام وسقاية الماء وسداد الديون، أو جاهاً كما في الإصلاح بين المتهاجرين والشفعة وبذل الجاه، أو علماً، أو سائر المصالح التي يحتاجها الناس، كحسن المعاملة وإمطة الأذى وعبادة المرضى، و...
ومن النصوص التي أشارت إلى تنوع هذه العبادة قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو ذر قال: قلت: يا رسول الله ذهب الأغنياء بالأجر يصلون ويصومون ويحجون! قال ((وأنتم تصلون وتصومون وتحجون)) قلت: يتصدقون ولا نتصدق؟ قال ((وأنت فيك صدقة، رفعك العظم عن الطريق صدقة، وهدايتك الطريق صدقة، وعونك الضعيف بفضل قوتك صدقة، وبيانك عن الأثرم(الذي لا يبين الكلام) صدقة، ومباضعتك امرأتك صدقة)) قال: قلت: يا رسول الله تأتي شهوتنا ونوثر؟ قال ((أرأيت لو جعلته في حرام أكان تأثم)) قال: قلت: نعم قال ((فتحسبون بالشر ولا تحسبون بالخير)) [أحمد ح 20856]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((كل سلامى عليه صدقة كل يوم يعين الرجل في دابته يحامله عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة ودل الطريق صدقة)) [البخاري ح 2891، مسلم ح 1009] 2- كثير من الناس يطلق معنى العبادة على ما يتعلق بحقوق الله فحسب، ويغفل عن باب آخر عظيم، وهو حسن المعاملة مع العباد والإحسان إليهم.

أدلة صناعة المعروف من القرآن الكريم

{يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون}{الحج:77} فقلوه {وافعلوا الخير} أمر يشمل كل خير، وقال تعالى{لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس}{النساء:114}{وأحسنوا إن الله يحب المحسنين}{البقرة:195}

أدلة صناعة المعروف وتعدد صورته من السنة النبوية

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((يا نساء المسلمين لا تحقرن

جارة لجارتها ولو فرسن شاة)) [البخاري ح 2566، مسلم ح 1030]

عن سعد بن عبادة أن أمه ماتت فقال يا رسول الله إن أمي ماتت أفأصدق عنها؟ قال: نعم، قال:
فأي الصدقة أفضل؟ قال: ((سقي الماء، فتلك سقاية سعد بالمدينة)) [النسائي ح 3666، أحمد ح
23333]

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون
شعبة، فأفضلها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من
الإيمان)). [مسلم ح 35]

عن أبي موسى رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه السائل أو طلبت
إليه حاجة قال ((اشفَعُوا تَوْجِرُوا، ويقضي الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء)) [البخاري
ح 1432، مسلم ح 2627]

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((كل معروف صدقة))
[البخاري ح 6021، مسلم ح 1005]
عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((كل معروف صدقة، وإن من
المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك)) [الترمذي ح 1970، قال:
هذا حديث حسن صحيح]

التحذير من ترك صناعة المعروف

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة
ولا ينظر إليهم)) فذكر منهم ((ورجل منع فضل ماء فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي كما منعت
فضل ما لم تعمل يدك)) [البخاري ح 2369]

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((دخلت امرأة النار في هرة
ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض)) [البخاري ح 3318، مسلم ح 2242]

الأنبياء وصناعة المعروف

الأنبياء هم أسرع الناس إلى طاعة الله، فهم الذين قضوا حياتهم في دعوة الناس وهدايتهم إلى خيرهم، إذ حياتهم كلها بذل وتضحية ومعروف.

فهذا إبراهيم الخليل، بلغ هذه المنزلة بصناعته للمعروف، فقد روى البيهقي في الشعب بسنده إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يا جبريل لم اتخذ الله إبراهيم خليلاً؟ قال لإطعامه الطعام يا محمد)) [الدر المنثور 2/706]

وهذا موسى عليه السلام {ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير} [القصص: 23-24] وقال الله على لسان عيسى {وجعلني مباركاً أينما كنت} [مريم: 31] روى أبو نعيم وكذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم ، قيل لعائشة هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وهو قاعداً؟ قالت: (نعم بعد ما حطمه الناس) أي بكثرة حوائجهم [مسلم ح 732]

صناعة المعروف عند السلف

كان السلف رحمهم الله أسرع الناس في صناعة المعروف وبذله:

ومن ذلك ما ذكر من إنفاق الصديق وعثمان والزبير وأمّهات المؤمنين وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم، وهذا يطول ذكره.

ومنه أيضاً صنيع أبي بكر الصديق حين ولي الخلافة ، فكان في كل يوم يأتي بيتاً في عوالي المدينة تسكنه عجوز عمياء، فينضح لها طعامها، ويكنس لها بيتها، وهي لا تعلم من هو، فكان يستبق وعمر بن الخطاب إلى خدمتها. [أسد الغابة 3/327]

ولما ولي عمر الخلافة خرج يتحسس أخبار المسلمين، فوجد أرملة وأيتاماً عندها يبكون، يتضاغون من الجوع، فلم يلبث أن غدا إلى بيت مال المسلمين، فحمل وقر طعام على ظهره وانطلق فأنضح لهم طعامهم، فما زال بهم حتى أكلوا وضحكوا. [الرياض النضرة 1/385]

ثمرات صناعة المعروف

1- صرف البلاء وسوء القضاء في الدنيا

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من يسر على معسر يسر الله عليه في

الدنيا والآخرة)) [ابن ماجه ح 2417]

[البخاري ح 4، مسلم ح 160]

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو أمامة ((صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب)) [رواه الطبراني في معجمه الكبير ح 8014، وقال الهيثمي: إسناده

حسن 3/115]

2- دخول الجنة

وروي عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وإن أول أهل الجنة دخولاً أهل المعروف)) [رواه الطبراني في الكبير ح 8015]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق، فأخذه، فشكر الله له فغفر له)) [البخاري ح 2471، مسلم ح 1914]

آداب صناعة المعروف

ولصناعة المعروف آداب، يتعلق بعضها بالصانع ، وبعضها بالمصنوع له.

ومن الآداب المتعلقة بمن صنع له المعروف:

1- شكر الله عز وجل أولاً، إذ هو المنعم الحقيقي، فهو أولى بالحمد من كل أحد، قال الله {يعرفون

نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون}{النحل:8}

2- شكر صاحب المعروف فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من لا يشكر

الناس لا يشكر الله)) [الترمذي ح 1945، أبو داود ح 4811، وقال الترمذي: هذا حديث حسن

صحيح]

وعن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من صنع إليه معروف فقال لفاعله

جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء)) [الترمذي ح 2035]

ومن الآداب المتعلقة بصانع المعروف:

1- إخلاصه وإسراره بالعمل وعدم انتظار العوض من الناس، قال تعالى {إنما نطعمكم لوجه الله لا

نريد منكم جزاءً ولا شكوراً}{الإنسان:9}

ومن الإخلاص الإسرار بالمعروف، قال تعالى {إن تبدو الصدقات فنعمًا هي وإن تخفوها وتؤتوها

الفقراء فهو خير لكم}{البقرة:271}

2- أن يبذله لمن يستحقه ويحتاج إليه من إنسان أو حيوان، أن يبذله للبر والفاجر بل والكافر.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال صلى الله عليه وسلم ((لا يغرس مسلم غرساً ولا

يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان ولا طائر ولا شيء إلا كان له أجر)) [رواه الطبراني في الأوسط ،

وقال الهيثمي: إسناده حسن. مجمع الزوائد 3/134]

3- أنه يقع عند الله بمكان مهما صغر شأنه عند الله، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس)) [البخاري ح 2472، مسلم ح 1914]

4- المسارعة بالخير والمسابقة إليه {فاستبقوا الخيرات} [البقرة:148] بو داود